

السيرة النبوية للبراعم

(٢٤)

« إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ »

الدكتور

محمد عمر الحاجي

محمد عمر الحاجي

محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢

e-mail: almaktabi@mail.sy


للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

لَكِنْ يَا أَحِبَّتِي الْبَرَاعِمَ تَعَالَوْا لِنَتَسَاءَلَ : هَلْ
تَوَقَّفَ الرَّسُولُ ﷺ عِنْدَ دَائِرَةِ مَكَّةَ .. وَالطَّائِفِ ؟!
أَبَدًا! إِنَّمَا عَمَدَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى تَوْسِيعِ
دَائِرَةِ الدَّعْوَةِ ، دُونَ كَلَلٍ وَلَا مَلَلٍ ، وَخَاصَّةً عِنْدَ
وُفُودِ الْقَبَائِلِ إِلَى مَكَّةَ لِمَزِيَارَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ .
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَقِفُ عَلَى جَبَلِ الصَّفَا ،
وَيُنَادِي : « يَا بَنِي فَلَانِ! إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ،
أَمْرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ
تَخْلَعُوا مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْدَادِ ،
وَأَنْ تُؤْمِنُوا بِي ، وَتَمْنَعُونِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ
رَبِّي » .

وَكَانَ عَمُّهُ أَبُو لَهُبٍ يَسِيرُ وَرَاءَهُ يُحَذِّرُ النَّاسَ
مِنْ أَنْ يَنْخَدِعُوا أَوْ يُسَخَّرُوا بِأَقْوَالِ
الْمُصْطَفَى ﷺ ، فَكَانَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ! لَا
يَغُرَّنْكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ ، وَدِينِ آبَائِكُمْ ، إِنَّمَا
يَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَسْلُخُوا اللَّاتَ ، وَالْعُزَّى ، مِنْ
أَغْنَاكُمْ ، ... وَتَنْقَلِبُوا إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعِ ،
وَالضَّلَالَةِ ، فَلَا تُطِيعُوهُ ، وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُ...!!

* * *

لا تُطِيفُوا هَذَا فَإِنَّهُ كَذَّابٌ!!

تَعَالَوْا يَا أَحِبَّتِي الْبَرَاعِمَ لِنُشَاهِدَ لَوْحَةَ
أُخْرَى ، حَيْثُ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقِفُ
بِالْقُرْبِ مِنَ الْكَعْبَةِ ، وَيُنَادِي بِالرُّؤَا : « يَا أَيُّهَا
النَّاسُ! قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا » .

وَيَأْتِي أَبُو جَهْلٍ وَوَرَاءَهُ بَعْضُ الْغِلْمَانِ ،
وَالْعَبِيدِ ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ : أَمَرَ الْعَبِيدَ ، وَالْغِلْمَانَ
أَنْ يَزُمُوا رَسُولَ اللَّهِ بِالْحِجَارَةِ ، أَمَّا هُوَ فَقَدْ رَاحَ
يَخْتُو الثَّرَابَ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرِيفِ!

ثُمَّ يَلْتَفِتُ نَحْوَ النَّاسِ ، وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ!

لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ لِيَتَّزُكُوا
آلِهَتَكُمْ ، وَلِيَتَّزُكُوا اللَّاتَ ، وَالْعُزَّى .
وَبَقِيَ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ ؛ حَتَّى أَدْمُوا كَعْبِيَّةَ
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

* * *

أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَيَاسَ مِنَّا ؟!

لَكِنْ : هَلْ يَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ دَعْوَةِ
الْقَبَائِلِ ، وَالْوُفُودِ ؟

أَبْدَأْ! إِنَّمَا الْمَسْأَلَةُ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ.. يَخْرُجُ فِي الْمَوَاسِمِ ، فَيَدْعُو الْقَبَائِلَ وَمَا
أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَجِيبُ لَهُ ، وَيَقْبَلُ مِنْهُ دُعَاءَهُ ،
فَقَدْ كَانَ يَأْتِي الْقَبَائِلَ بِمَجَنَّةٍ ، وَعُكَاظٍ ، وَبِمِنًى ،
حَتَّى يَسْتَقْبِلَ الْقَبَائِلَ ، سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ ،

حَتَّى إِنَّ الْقَبَائِلَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ : مَا آَنَ لَكَ أَنْ تَتَيَّأَسَ
مِنَّا ؟! مِنْ طُولِ مَا يَغْرِضُ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ .

* * *

إِلَى بَنِي هَمْدَانَ... وَبَنِي كِنْدَةَ

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ رَاحَ الرَّسُولُ ﷺ يَغْرِضُ
نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ :
« هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ ؟ ! فَإِنَّ قُرَيْشًا
قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ » .
فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ ، فَقَالَ : « مِمَّنْ
أَنْتَ ؟ » .

فَقَالَ الرَّجُلُ : مِنْ هَمْدَانَ .
فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ
مِنْ مَنَعَةٍ ؟ » .

قَالَ : نَعَمْ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، فَاسْلَمَ ،
ثُمَّ إِنَّهُ خَافَ أَنْ يُحَقِّرَهُ قَوْمُهُ ، فَوَعَدَهُ الْحَجَّ مِنْ
قَابِلٍ .

فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى قَوْمِهِ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ
الْإِسْلَامَ ، وَفِي الْعَامِ الْقَادِمِ جَاءَهُ وَفَدٌ مِنْ أَفْرَادِ
الْقَبِيلَةِ مُسْلِمِينَ .

ثُمَّ انْطَلَقَ الْمُصْطَفَى ﷺ إِلَى قَبِيلَةِ كِنْدَةَ ،
وَذَلِكَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظَ ، فَلَمَّ يَأْتِ حَيًّا مِنْ
الْعَرَبِ كَانَ أَلَيْنَ مِنْهُمْ .

فَلَمَّا رَأَى لِيْنَهُمْ وَقُوَّةَ جِبْهَتِهِمْ^(١) لَهُ ، جَعَلَ
يُكَلِّمُهُمْ ، وَيَقُولُ :

« اَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ

(١) أي : قوة ردِّهم ، وتحملُّهم للمكروه ونحو ذلك .

تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ ، فَإِنْ أَظْهَرُ ؛
فَأَنْتُمْ بِالْخِيَارِ » .

فَقَالَ عَامَّتُهُمْ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْقَوْلَ ! وَلَكِنَّا
نَعْبُدُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا !

فَقَالَ أَصْغَرُ الْقَوْمِ : يَا قَوْمُ ! اسْبِقُوا إِلَى هَذَا
الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ تُسْبِقُوا إِلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ ! إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ
لَيَحْدِثُونَ : أَنَّ نَبِيًّا يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ قَدْ أَظْلَمَ
زَمَانُهُ - أَيُّ : قَدْ اقْتَرَبَ - .

فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اأْمْسِكُوا عَلَيَّ ، أَخْرَجْتُهُ
عَشِيرَتُهُ ، وَتَوَوَّنَهُ أَنْتُمْ ؟ ! تَحْمِلُونَ حَرْبَ الْعَرَبِ
قَاطِبَةً ، لَا ! ثُمَّ لَا !

فَانْصَرَفَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْهُمْ حَزِينًا ،
وَانْصَرَفَ الْقَوْمُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَخَبَرُوهُمْ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ : وَاللَّهِ ! إِنَّكُمْ مُخْطِئُونَ ،
لَوْ سَبَقْتُمْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ ؛ لَسَدْتُمْ الْعَرَبَ ، وَنَحْنُ
نَجِدُ صِفَتَهُ فِي كِتَابِنَا .

فَقَالُوا : وَمَا هِيَ صِفَاتُهُ ؟

قَالَ الْيَهُودِيُّ : نَجِدُ صِفَتَهُ فِي كِتَابِنَا ، وَدَارُ
هَجْرَتِهِ يَثْرَبُ...

* * *

دَعْوَةٌ لَا تَخْضَعُ لِلْكَلَلِ وَلَا لِلْمَمَلِّ !!

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الصُّعُوبَاتِ الَّتِي كَانَتْ
تَعْتَرِضُ دَعْوَتَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، فَقَدْ
كَانَ دُؤُوباً عَلَى تَبْلِيغِهَا ، حَرِيصاً عَلَى إِيْصَالِ
صَوْتِ الْحَقِّ إِلَى كُلِّ الْقَبَائِلِ .

فَقَدْ دَعَا قَبِيلَةَ عَبْسٍ مَثَلاً ، وَكَانَتْ هَذِهِ
الْلُّقَطَاتُ :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكَبُ عَلَى رَاحِلَتِهِ ،
وَيُرِيدُ خَلْفَهُ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، فَجَاءَ إِلَى وَفْدِ
عَبْسٍ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى .

فَاقْتَنَعَتْ عُقُولُهُمْ ، لَكِنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ قَالَ
لَهُمْ : وَيَحْكُم لَقَدْ طَرَدَهُ قَوْمُهُ ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ؛
فَكَيْفَ تُوْمِنُونَ بِهِ أَنْتُمْ ؟!

أَمَّا مَيْسَرَةُ - وَكَانَ وَاحِدًا مِنْهُمْ - فَقَدْ قَالَ : مَا
أَحْسَنَ كَلَامَكَ وَأَنُورَهُ!

وَلَكِنَّ قَوْمِي يُخَالِفُونَنِي ، وَإِنَّمَا الرَّجُلُ
بِقَوْمِهِ .

فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَعَادَ
وَقَدْ عَبَسَ بِاتِّجَاهِ رِحَالِهِمْ ، وَقُرْبِ مَنَاطِقِهِ
(فَذَكَ) قَالَ مَيْسَرَةُ : مِثْلُوا بِنَا إِلَى فَذَكَ ، فَإِنَّ بِهَا
يَهُودَ ، نَسَائِلُهُمْ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ .

فَمَالُوا إِلَى يَهُودَ ، فَأَخْرَجُوا سِفْرًا لَهُمْ ،
فَوَضَعُوهُ ، ثُمَّ دَرَسُوا ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ النَّبِيِّ
الْأُمِّيِّ : يَزَكِبُ الْجَمَلَ ، وَيَجْتَرِيءُ - أَيُّ : يَكْتَفِي -

بِكُسْرَةِ الْخُبْزِ ، وَلَيْسَ بِالطَّوِيلِ ، وَلَا بِالْقَصِيرِ ،
وَلَا بِالْجَعْدِ وَلَا بِالسَّبْطِ ، فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ ،
مُشْرَبُ اللَّوْنِ ، فَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي دَعَاكُمْ ،
فَأَجِيبُوهُ ، وَادْخُلُوا فِي دِينِهِ ، فَإِنَّا نَحْسُدُهُ ، فَلَا
نَتَّبِعُهُ ، وَلَنَّا مِنْهُ فِي مَوَاطِنَ بَلَاءٍ عَظِيمٍ ، وَلَا
يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا اتَّبَعَهُ ، أَوْ قَاتَلَهُ .

* * *

وَلَمْ يَقُوفِ الدَّامِيَةُ أَبَدًا

لَعَنَ يَا أَحِبَّتِي الْبَرَاعِمَ تَعَالَوْا نَتَسَاءَلْ : هَلْ
تَسَلَّلَ الْيَأْسُ إِلَى قَلْبِ الدَّاعِيَةِ الْأَوَّلِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ وَهَلْ تَوَقَّفَ عَنْ دَعْوَتِهِ ؟

أَبَدًا! إِنَّمَا اسْتَمَرَّ ، وَلَقَدْ دَعَا بَنِي عَامِرِ بْنِ
مَغْصَصَةَ ، وَبَنِي حَنِيفَةَ ، وَعَبْسًا ، وَبَنِي كَلْبٍ ،
وَبَنِي مُحَارِبٍ ، وَبَنِي شَيْبَةَ ، وَ.... .

كَمَا كَانَ يُرَكِّزُ عَلَى دَعْوَةِ الْأَشْرَافِ ، كَسُوَيْدِ
ابْنِ الصَّامِتِ ، وَالطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ ،
وغيرهما.....

وَأَخْرَجَ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ